هُوية القيم الاجتماعية في شعر إيليا أبي ماضي

(بحث مستل من أطروحة دكتوراه)

Semiotics of the Identity of Social Values in the Poetry of Elia Abu Madi

سرى ضياء مهدي

Sura Diaya Mahdy

جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

University of Tikrit / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

E-mail: Sd231142ped@st.tu.edu.iq

أ.د. سعد عبداللطيف جدوع

Prof. Dr. Saad Abdul Latif Jadou

جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

University of Tikrit / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

E-mail: saadabd@tu.edu.iq

07733378119

الكلمات المفتاحية: الهُوية، إيليا أبو ماضي، القيم الاجتماعية.

Keywords: Identity, Ilya Abu Madi, Social Values

الملخص

يتناول هذا البحث المعنون ب" هُوية القيم الاجتماعية في شعر إيليا أبي ماضي"، من خلال مقاربة تحليلية تستند إلى المنهج الاجتماعي في قراءة الخطاب الشعري، للكشف عن البنى الدلالية العميقة التي تشكّل هُوية القيم في نصوصه، وينطلق البحث من فرضية مفادها أن القيم الاجتماعية في شعر أبي ماضي لا ترد بوصفها مضامين مباشرة، بل تتجسد في شبكة من العلامات والرموز التي تعيد إنتاج الواقع الاجتماعي في صيغة جمالية ذات أبعاد نقدية وإنسانية.

وقد ركّزت الدراسة على جملة من القيم المركزية، منها: الحرية، والانتماء، والعدالة، والتعاطف الإنساني، والشجاعة، والكرم، مبينةً كيف تتشكل هذه القيم عبر ثنائيات دلالية مثل: الفقر/الغنى، القهر/الحرية، الانتماء/الاغتراب، القوة/الضعف. وأظهرت النتائج أن الخطاب الشعري عند أبي ماضي يعمل بوصفه نسقاً تأويلياً يعيد صياغة الواقع الاجتماعي رمزياً، فيحوّل التجربة الفردية إلى خطاب جمعي يكشف اختلالات البنية الاجتماعية ويدعو إلى تجاوزها، وإن الشاعر اعتمد آليات فاعلة، أبرزها الرمز والتجسيد والتقابل والانزياح، في بناء عالمٍ شعري تتداخل فيه الذات بالموضوع، والواقعي بالرمزي، مما يمنح النص طاقةً تأويليةً مفتوحة، بالإضافة إلى أن القيم الاجتماعية في شعر أبي ماضي تشكّل هُوية إنسانيةً ناقدة، تسعى إلى تأسيس مجتمعٍ أكثر عدلاً وتكافلاً، وتؤكد أن الشعر لديه ليس انعكاساً سلبياً للواقع، بل فعلٌ ثقافيٌّ يسهم في مساءلته وإعادة بنائه دلالياً.

Abstract

This research, entitled "The Semiotics of Social Values in the Poetry of Elia Abu Madi adopts an analytical approach grounded in the semiotic method of reading poetic discourse in order to uncover the deep semantic structures that shape the identity of values in his texts. The study proceeds from the premise that social values in Abu Madi's poetry do not appear as direct thematic statements; rather, they are embodied in a network of signs and symbols that aesthetically reproduce social reality with critical and humanistic dimensions.

The study focuses on a set of central values, including freedom, belonging, justice, human compassion, courage, and generosity, demonstrating how these values are constructed through semantic binaries such as poverty/wealth, oppression/freedom, belonging/alienation, and strength/weakness. The findings reveal that Abu Madi's poetic discourse functions as an interpretive system that symbolically reformulates social reality, transforming individual experience into a collective discourse that exposes structural imbalances within society and calls for their transcendence.

Moreover, the poet employs effective semiotic mechanisms—most notably symbolism, personification, semantic contrast, and displacement—in constructing a poetic world where the self intersects with the objective, and the real intertwines with the symbolic, thereby granting the text an open interpretive potential. Ultimately, the semiotics of social values in Abu Madi's poetry shape a critical human identity that aspires to establish a more just and solidaristic society, affirming that for him poetry is not a passive reflection of reality, but a cultural act that interrogates and reconstructs it on a semantic level.

المقدمة

تُعدُّ القيمُ الاجتماعية إحدى الركائز الأساس في تشكيل وعي الإنسان وبناء هويته الثقافية، إذ تتجلى عبر منظومة من المبادئ والمعايير التي تنظّم علاقة الفرد بذاته وبالآخرين، وتحدّد أنماط السلوك المقبول داخل البنية المجتمعية، ولئن كان الأدب مرآةً للواقع الاجتماعي، فإنه في الوقت نفسه أداةٌ فاعلة في إعادة تشكيل هذا الواقع وتأويله، من خلال ما ينتجه من أنساق رمزية وصور دلالية تعكس رؤية المبدع للعالم، ومن هنا تبرز أهميتها بوصفها منهجاً كاشفاً لآليات تشكّل المعنى داخل الخطاب الأدبي، وللعلاقات العميقة بين العلامة الشعرية والنسق الاجتماعي الذي تنبثق عنه.

ويندرج شعر إيليا أبو ماضي ضمن التجربة المهجرية التي تميّزت بحسٍّ إنساني عميق ووعيٍ اجتماعي ناقد، إذ تفاعل الشاعر مع قضايا عصره، من فقرٍ وظلمٍ واغترابٍ وانقسامٍ طبقي، كما عبّر عن قيم الحرية والانتماء والعدالة والتكافل الإنساني، ولم تكن هذه القيم عنده موضوعاتٍ عابرة، بل تشكّلت في بنية النص الشعري بوصفها علاماتٍ دلالية تتجاوز معناها المباشر إلى أبعادٍ رمزيةٍ وثقافية تعكس صراع الذات مع واقعها، وتؤسس لهُوية إنسانية تتجاوز حدود المكان والزمان.

ومن هنا يسعى هذا البحث الموسوم بـ " هُوية القيم الاجتماعية في شعر إيليا أبي ماضي" إلى الكشف عن الكيفية التي تتجسد بها القيم الاجتماعية في خطابه الشعري، لا بوصفها مضامين تقريرية، بل بوصفها بنياتٍ فاعلة تُنتج المعنى عبر الرمز، والانزياح، والتقابل الدلالي، والتشكيل الصوري، كما يحاول البحث تتبّع العلاقة الجدلية بين التجربة الفردية للشاعر والسياق الاجتماعي الذي أنتجها، مبيناً كيف تتحول المعاناة الذاتية إلى خطاب إنساني عام يعكس هُوية قيميةً واضحة المعالم.

هُوية القيم الاجتماعية في شعر إيليا أبي ماضي

تقوم المجتمعات على مجموعة من المبادئ والقيم والقوانين التي تشـــكل منظومةً اجتماعية وبمقتضاها يسير الإنسان في حياته الدائبة، ومن خلال هذه المبادئ تتكون التصورات ويتم تقييم الأشياء والأفعال وفقًا لما يتفق عليه أفراد ذلك المجتمع.

فإن القيمة الاجتماعية لأي شـــيء ما تتجلى " فيما يســـتحســـنه المجتمع، أو فيما يقره وما يرضـــى عنه ويقرره، أما ما يســـتهجنه المجتمع فنحكم عليه بألا قيمة له أو بأنه ذو قيمة سلبية"(دياب، (د-ت): 52)، إذ تعكس عدم قبول المجتمع لها، مما يؤدي إلى آثار سلبية تظهر على مختلف فئات المجتمع.

والأدب يساهم بشكل غير مباشر في تشكيل القيم، ويعزز في ترويج بعض القيم أكثر من غيرها، ويعبر عن قضـــايا معينة بناءً على منظومته الفكرية التي ينطلق منها في تقديم وبثّ رؤاه وتطلعاته، مستنداً إلى القيم الاجتماعية، إذ يعتبرها قانونًا اجتماعيًا يستخدم اللغة كوسيلة لتصوير الواقع، فهو يُصوّر الحياة، التي تمثل حقيقة اجتماعية، وعندما يقوم الفنان أو الشـاعر بتصـوير إنسان كامل، فإنه لا يقتصر على إعادة تصوير الإنسان فقط(وليك. ووارن، 1992م: 131)، بل يعيد تصـوير المجتمع الذي ينتمي إليه، فإن القيم التي يقدمها الشـاعر/المبدع مسـتمدة من المجتمع، ويعبر عنها ويصـورها في رسـم إبداعه الشـعري بأسـلوب أدبي يعتمد على الحذف والإضافة والصدق الفني.

تسلط القيم الاجتماعية الضوء على مضـمون الأعمال الأدبية ودلالاتها، مما يمهد الطريق لدراسات جمالية اجتماعية تستكشف العلاقة بين رؤية العالم من جهة، والكون الصـغير المتمثل في شخصيات وأشياء العمل الأدبي من جهة أخرى. (فضل، 1980م: 134)

فالقيم الاجتماعية تعد أساسًا لفهم ثقافة المجتمع والفرد؛ لذلك آمن الشعراء بضرورة أن يكون فنهم الإبداعي في خدمتهم، أي وسيلة للتعبير عن أنفسهم وتجسيد مشاعرهم ونزعاتهم الذاتية التي تكمن في أعماقهم. (عيوسـي، 1982م: 61) وتحدث الشـاعر إيليا أبو ماضـي في شـعره عن هموم ومعاناة أبناء شـعبه المرتبطة بالواقع الذي فرضـه المسـتعمرون، كما تناول القضـايا الاجتماعية التي شـهدها عصره، معبراً عن طموحاته ورغباته ومشاكله، عكس من خلال شـعره مكانة الإنســان في مجتمعه من خلال ذكر آلام الأمة العربية، إذ كان اهتمامه بالمشـاكل الاجتماعية والإنسانية جزءً من تجربته الشعرية، بالإضافة إلى ذلك فأنه ناقش نقائض مجتمعه

وانتقد قوانينه، داعيًا الإنســـان إلى خدمة وطنه، ومواجهة الظالمين، ودعم الفقراء في القضـــايا الاجتماعية. (هكوي وحسني، 2015م: 305)

يمكننا أن نلاحظ من خلال التحليل الاجتماعي والثقافي للخطاب الإبداعي أن الأدب مرآة عاكســـة للوضـــع الاجتماعي وتطلع لما ينبغي أن يكون عليه هذا الواقع، ولفهم ومعرفة قوانين الأدب، يكفي معرفة قوانين التطور الاجتماعي، فهناك واقع يحتضر، ويكون الأدب الذي يعكسه أدبًا رجعيًا، بينما ينمو واقع جديد في قلب المجتمع القديم، مما يجعل الأدب الذي يعبر عنه أدبًا تقدميًا، كما توجد طبقات وجوازية متعددة، لذا يجب أن يكون هناك أدب تنعكس فيه ســياســات هذه الفئات. (عبود، 1999م: 36)

وقد تناول الشعر المهجري مجموعة متنوعة من الحالات الإنسانية والفلسفية، ويُعد المجتمع أحد أبرز المواضـــيع التي تناولها شـــعراء المهجر في نتاجهم الإبداعي ، إذ يُمثل المجتمع البيئة التي يعيش فيها الفرد، وتدور فيها الأحداث اليومية ســـواء كانت اجتماعية أو اقتصـــادية أو سياسية، وقد وصف الشعراء هذه الحالات الإنسانية وتحدثوا عنها بحرية، وكانوا متعاونين مع أبناء وطنهم في مواجهة الظلم والسياسات التي تعيق تطور الأفراد وسبل عيشهم في البلدان العربية، وقد ظهر ذلك في تناولهم لمشـكلات مثل حالات الفقر والبطالة والزواج بالإضـافة إلى قضايا الوطن المسلوب، لذلك كان شعراء المهجر " على صلة بكل هذه الصراعات ، حتى إذا اتيحت له حرية التعبير راح يحملها ثورة على جميع أولئك الذين انحدروا به وأوصـــلوه إلى هذه الهاوية الســـحيقة التي ما كان يرتضـــيها لنفســـه أو لأمته، وهكذا اتخذ من واقعه هذا مادة لموضوعاته"(الكبيسي، 1981م: 19)، فنرى في الشعر المهجري يعكس مشاكل وقضايا المجتمع كافة عبّر عنها الشعراء في أشعارهم.

وتفاعل الشاعر اللبناني إيليا أبو ماضي مع ظاهرة من الظواهر الطبيعية وهي ظاهرة البحر، إذ أنّه يحتل مكانة كبيرة في أدب الشـعراء المهجريين ونفوسـهم، فقد بدؤوا هجرتهم بعبوره، وظلوا وراء أمواجه وأغواره، يطلقون النظرات والحســـرات نحو بلادهم وماضـــيهم، حالمين بالعودة إلى وطنهم، فيمثل البحر الماضي والحاضر والمستقبل، وقد كان بمثابة لوحة زرقاء أداموا النظر إليها طويلاً، فيشبهون بذلك أسلافهم من الشعراء العرب الذين سجل لهم التاريخ الأدبي لحظات بحرية مهمة، كما أثرت الحركات والتيارات الأدبية الجديدة على خلق وبناء روابط وأواصـــر جديدة بين

الشـاعر والبحر، إذ اتخذوا من البحر موقفاً رومانسـياً يجسـد المذهب الرومانسـي، بالإضـافة إلى المذاهب الرمزية والواقعية والنفسية والتأملية. (شريف، 1997م: 36)

ويؤكـد الشـاعر بـأنّ المهـاجرين انطلقـوا فـي بحـر الهجـرة؛ لأن أرض الـوطن فـي لبنـان تحـت سـيطرة الاسـتعمار أصـبحت تـزرع وتـورث الذلـة فـي نفـوس أهلهـا، كمـا كـان اللبنـانيّون ورثـة فينيقيـا طلـب السـفر والعيـاء بعيـداً عـن أرضـهم، محلقـين نحـو العليـاء بجنـاح النسـر والشـاهين، ونـرى ذلـك متجليـاً فـي قصـيدته (**شـبح**) قـائلاً فيهـا: (إيليـا أبـو ماضـي، 2008م: 804)

لُـبـنـانُ لا تَـعـذِل بَـنـيـكَ إذا هُـمُ * رَكِـبـوا إلـى الـعَـلـيـاءِ كُـلَّ سَـفـيـنِ**
لَـم يَـهـجُـروكَ مَـلالَـةً لَـكِـنَّـهُـم * خُـلِـقـوا لِـصَـيـدِ الـلُـؤلُـؤِ الـمَـكـنـونِ**
وَرَثـوا اِقـتِـحـامَ الـبَـحـرِ عَـن فـيـنـيـقـيـا * أُمِّ الـثَـقـافَـةِ مَـصـدَرِ الـتَـمـديـنِ**
لَـمّـا وَلَـدَتـهُـمُ نُـسـوراً حَـلَّـقـوا * لا يَـقـنَـعـونَ مِـنَ الـعُـلـى بِـالـدونِ**
وَالنَسـرُ لا يَرضـى السُـجونَ وَإِن تَكُن * ذَهَـبـاً فَـكَـيـفَ مَـحـابِـسٌ مِـن طـيـنِ**
الأَرضُ لِـلـحَشَـراتِ تَـزحَـفُ فَـوقَـهـا * وَالـجَـوُّ لِـلـبـازي وَلِـلـشـاهـيـنِ**

في النص الشـعري يشـير إيليا أبو ماضـي إلى أسـباب هجرة الأبناء عن وطنهم (لبنان)، موضـحاً أنها ناتجة عن القهر والرغبة في الحرية، ويتضـح من النص أن دلالة الانتماء للوطن تظل قوية وطاغية في هذه القصيدة، بالرغم من ظهور الرغبة في طلب التعالي لتحقيق الحلم من خلال الحرية، وهذه الدلالة تحمل تاريخاً عريقاً يعود إلى سـلالة الفينيقيين الذين ركبوا البحار منذ آلاف السنين، ومن هنا نجد الشاعر يظهر تأثير هذه السلالة بشكل واضح في شعره، حيث يستند إليها كعامل تاريخي وتراثي، فالدلالة في هذه القصيدة تكون من نسقين فالنسق الأول هو المعنى الظاهر الذي يشير فيه إلى الدلالة التاريخية، أما النسق الثاني فهو المعنى المضمر يعكس حب الشاعر للحرية ودعوته لحياة أفضل، مع رفضه لكل أنواع وأشكال الذل والقهر والتخلف. (أرونية، 2008م: 44) فالأرض وكل ما تحتويه لا تعنيه بشـيء؛ لأنها تخص سـجناء التراب، والمقعدين، والمتخاذلين مثل (الحشرات).

يعبـر الشـاعر عـن فكـرة "صـيد اللؤلـؤ المكنـون"، مـا يعنـي أن الجهـد الشخصـي والطمـوح ضـروريان لاكتشـاف الخيـرات المخفيـة فـي الحيـاة، وهـذا يُشـدد علـى أهميـة الطمـوح والبحـث عـن التميـز فـي مجتمعـات تشـجع علـى السـعي لتحقيـق الأهـداف العاليـة، ويسـتعمل الشـاعر الرمـوز (النسـر، النسـور، البـاز، الشـاهين) كوسـائل للتعبيـر عـن القـوة والحريـة، وهـذه الطيـور تمثـل الطمـوح والارتفـاع فـوق القيـود، ويُعتبـر النسـر رمـزاً للحريـة والقـوة، ممـا يُظهـر أن الأفـراد يجـب ألا يقنعـوا بـالقيود بـل ينبغـي علـيهم السـعي نحـو العـلا، مما يعكس الرغبة في التحرر من قيود المجتمع.

يتبين لنا من خلال قصـيدة "الشـبح" بأن الشـاعر تحدث عن شـجاعة وطموح الفرد وحقه في السعي نحو تحقيق إمكاناته، مع الإشارة إلى ضـغوط المجتمع وهجرتهم إلى بلد آخر للسعي نحو العلا، ويُظهر الشـاعر من خلال رموز الهُوية والطبيعة أن الطموح هو جزء أسـاسـي من وجود الإنسان، وأن الأفراد المجتهدين هم من يساهمون في رفع مستوى المجتمع وتقدمه. من خلال هذا يمكن فهم كيف أن العوامـل الثقـافيـة والتـاريخيـة تلعـب دوراً مهمـاً في تكوين الهُويـة الفرديـة والمجتمعية.

ويقول الشاعر في قصيدته المعنونة ب(يا رفاقي): (إيليا أبو ماضي، 2008م: 893)

جُعتُ وَالخُبزُ وَفيرٌ في وِطابي — وَالسَنا حَولي وَروحي في ضَبابِ
وَشَرِبتُ الماءَ عَذباً سائِغاً — وَكَأَنّي لَم أَذُق غَيرَ سَرابِ
حَيرَةٌ لَيسَ لَها مَثَلٌ سِوى — حَيرَةِ الزَورَقِ في طاغي العُبابِ
لَيسَ بي داءٌ وَلَكِنّي اِمرُؤٌ — لَستُ في أَرضي وَلا بَينَ صَحابي
مَرَّتِ الأَعوامُ تَتلو بَعضَها — لِلوَرى ضِحكي وَلي وَحدي اِكتِئابي

يخاطب الشاعر في هذه القصيدة أصدقاءه في الشرق ويستعرض لهم المشاكل التي واجهها في بلاده، والتي تتعلق بالوضعين السياسي والاجتماعي، مما أثرت بشكل سلبي على الإمكانيات المادية في المجتمع، هذه المعوقات والمشاكل دفعته للبحث عن سبيل آخر لتحقيق أهدافه وآماله، التي تمنع وتجنبه الفقر والظلم والاستبداد، ولم يجد أمامه طريقًا سوى الهجرة ومغادرة وطنه؛ لكي ينجو من الأزمات السياسية والاجتماعية والمعيشية، سعيًا وراء حياة كريمة تحقق طموحاته، وقد تجسدت في أشعاره موضوعات متنوعة تعكس مأساته وثقافته العربية وظروف حياته الاجتماعية. (المعوش، 1997م: 252)

ومن هذا المنظور يتجلى معنى الظلم والفقر في نسـقين النسـق الظاهر المتمثل بالعناصـر ودلالة الظاهر التي تهيمن على حياة الشـاعر إيليا أبو ماضـي المليئة بالتحديات والمشـاكل والتحديات، بينما يقابلها النسق المضمر فنجد دلالات خفية تعبر عن تمرده على الظلم، إذ يسعى إلى حياة هادئة تتسـم بالاحترام والرفاهية بعيداً عن المعاناة الفردية والاجتماعية التي تفرضـها السـلطة المهيمنة على المجتمع، فهذه السـلطة تُحدث أثرًا عميقًا يدفع الفرد إلى الغربة عن وطنه بحثًا عن مكان يلبي تطلعاته وطموحاته، فجملة "جعت والخبز" تحمل دلالة خفية تعكس كيفية العيش في وطن يشعر فيه الفرد بالغربة على الرغم من توفر الخبز يبقى الإحساس بالجوع قائماً، ويظهر الجوع كرمز للفقر والحاجة إلى الرزق، فإن الخبز هو رمز لقيمة الحياة الأساسية، والتي تُشـير إلى غياب الأمان الاجتماعي والاقتصـادي، وهذا يُعبر عن واقع الأفراد الذين يعانون من الفقر في المجتمع، وعلى الرغم من وجود الضـوء أمامه إلا أنه يشـعر بأن روحه محاصـرة في ظلام، وكأن الماء العذب الذي يشـربه لا يعدو كونه سـراباً، فالماء يُمثل الحياة والراحة، ولكن الذكر اللاحق لـ"سَراب" يدل على الشعور بالخداع أو الافتقار إلى القيم الحقيقية، هذه الفكرة تشير إلى حيوية المجتمع الذي يسـعى إلى الحصـول على أسـاسـيات العيش مثل الماء والخبز، ولكن يُواجـه بـالإحبـاط، ممـا يعبر عن عدم وجود نظير لمعـانـاتـه، ويـدل ذلـك على الرغم من توفر الإمكانيات المادية كانت حياته مليئة بالأحزان والمشـاكل،(هكودي، 2015م: 309) مما يُظهر دلالة اجتماعية تعكس الحنين إلى الماضي، وهو أيضاً مرجع مادي.

وفي البيت الثالث رسم الصـورة تُعبّر عن الصـراع الداخلي في حيرته فالزورق يُظهر وضـع الأفراد في ظروف صـعبة، في خضـم أمواج الحياة المتلاطمة، هذا يعكس القيم الاجتماعية التي تُظهر صعوبة التغلب على التحديات ، مما يثير شعوراً بالعجز أو عدم القدرة على التكيف، وبعد ذلك ينتقل إلى تجسـيد شـعور العزلة والاغتراب عن المجتمع، فالشـاعر يشـعر بعدم الانتماء إلى المكان أو الأصدقاء، مما يُعكس القيم الاجتماعية المتعلقة بالانتماء والترابط.

فيعكس من خلال هذه القصيدة مجموعة من القيم الاجتماعية من خلال استكشافها لمواضع الوحدة، الفقر، والضـياع، وتُظهر الرموز المختلفة التي اسـتعمالها أبو ماضـي كيف تربط القيم الاجتماعية الأفراد وتجعلهم يشـعرون بالانتماء أو العزلة من خلال اسـتحضـار تجارب الحياة اليومية والمشـاعر العميقة، ينجح الشـاعر في توصـيل حالة إنسـانية تعبر عن التحديات التي يواجهها الأفراد في مجتمعهم.

ومن أبرز الظواهر المنتشـرة في المجتمعات العربية هي ظاهرة الفقر المتفشـية الناجمة عن نقص فرص العمل واستغلال الحكومة للمواطنين، فضلاً عن القضايا السياسية وما ينتج عنها من حروب، وكل هذه العوامل أثرت بشـــكل كبير على المجتمع" فهناك حكم إقطاعي غريب في تكوينه، إقطاع ديني وإقطاع سـياسـي، وإقطاع آخر اقتصـادي، فالباشـوات مثلا كانوا يشـترون الأرض من الدولة العليا في الإسـتانة مباشـرة، ومن ثم تعطى أو توزع أو تباع للأمراء، ليتحول المواطن في النهاية إلى مجرد أجير لقاء ثمن زهيد قد لا يكفيه لسـد حاجاته الضـرورية، وهذا ما ذكره كثير من الذين عاصـروا هذه الاحداث من الأدباء والمؤرخين" (الكبيسـي، 1981م: 23)، وكل ذلك كان نتيجة لسـياسـة الحكومة في تلك الفترة التي كانت تسـعى إلى تهميش المواطن وحرمانه من أبسط مقومات الحياة الكريمة.. وفي هذا السياق يقول إيليا أبو ماضـي في قصـيدته (الفقير): (إيليا أبو ماضي، 2008م: 302)

هَمٌّ أَلَمَّ بِهِ مَعَ الظَلَماءِ فَنَأى بِمُقلَتِهِ عَنِ الإِغفاءِ
نَفسٌ أَقامَ الحُزنُ بَينَ ضُلوعِهِ وَالحُزنُ نارٌ غَيرَ ذاتِ ضِياءِ
يَرعى نُجومَ اللَيلِ لَيسَ بِهِ هَوى وَيَخالُهُ كَلِفاً بِهِنَّ الرائي
في قَلبِهِ نارُ الخَليلِ وَإِنَّما في وَجنَتَيهِ أَدمُعُ الخَنساءِ

يتضـح مـن مضـمون الـنص أن الشـاعر يتحـدث عـن الفقـر فـي مجتمـع عربـي، ومـن مقومـات المجتمـع السـعي لتحقيـق المسـاواة والعـيش الكـريم للأفـراد بعيـداً عـن ظـاهرة الفقـر، ويتناسـب عنـوان القصـيدة مـع مضـمونها، والقصـيدة تعبـر عـن مشـاعر الحـزن والمعانـاة، وتبـرز الصـراعات الاجتماعيـة والنفسـية التـي تواجـه الفقـراء، إذ يتنـاول حالـة معينـة ويصـف مشـاعر شـخص (فقيـر) يراقبـه، ويبـرز إحسـاس الشـاعر بـالهموم الثقيلـة التـي تعـاني منهـا الـنفس، ويشـير اسـتعمال "الظلمـاء" إلـى الحالـة المظلمـة التـي يعيشـها الفقيـر، فـالظلام هنـا إشـارة إلـى الفقـر واليـأس، ويتحـدث عـن همومـه التـي تراكمـت عليـه فـي الليـل وسـرقت النـوم مـن عينيـه، تـدل هـذه الصـورة علـى اليقظـة المسـتمرة وعـدم القـدرة علـى الاسـترخاء أو الراحـة فـي ظـل هـذه الظـروف القاسـية، ممـا يُعكـس المعانـاة الداخليـة، فالليـل عـادةً مـا يكـون وقـت السـمر والمحبـين، كمـا يمثـل متنفسـاً للمهمـومين والمظلـومين؛ لكنـه يصـبح محاطـاً بـالأحزان والتفكيـر، ويشـير إلـى الألـم الـداخلي الـذي نشـأ مـن الظـروف المحيطـة، ويُظهـر الشـاعر كيـف يمكـن للحـزن أن يصـبح جـزءاً مـن كيـان الفـرد يعـيش فـي داخلـه ويـؤثر عليـه،

ويصـف الشـاعر كيـف أن الحـزن قـد أقـام فـي صـدر هـذا الإنسـان الفقيـر كالنـار التـي تحـرق؛ ولكـن مـن دون ضـياء، ممـا يعنـي أنهـا تـؤدي إلـى الألـم دون أن تنيـر الطريـق أو تـوفر الأمـل، إذ يمثـل الضـياء العمـل والبحـث عـن فرصـة جديـدة للعـيش الكـريم والتـي يبـدو أنهـا مفقـودة، ويظـل الحـزن مخيمـاً عليـه وهـو يتأمـل النجـوم وسـط همومـه محـوّلاً حزنـه إلـى نـار فـي صـدره مثـل النـار التـي أُحـرق بهـا النبـي إبـراهيم (عليـه السـلام)، وفـي وجنتيـه دمـوع الخنسـاء التـي لـم تتوقـف عـن البكـاء علـى أخيهـا صـخر، فهـو يبكـي علـى حالـه ووضـعه الـذي يـئس مـن تحسـنه، فيُعبّـر بشـكل عميـق عـن مشـاعر الفقـر والظلـم، مُسـلياً عـن الأحـزان التـي تعتـري تلـك النفـوس البائسـة، ويُظهـر الشـاعر كيـف يمكـن أن تـؤثر الظـروف الاجتماعيـة والنفسـية علـى الفـرد مركّـزاً علـى الحـزن كجـزء لا يتجـزأ مـن الحيـاة، ثـم يسـتمر فـي تصـوير حالـة هـذا الإنسـان الفقيـر فـي الليـل، إذ يقـول: (إيليـا أبـو ماضـي، 2008م: 302)

قَد عَضَّهُ اليَأسُ الشَديدُ بِنابِهِ في نَفسِهِ وَالجوعُ في الأَحشاءِ
يَبكي بُكاءَ الطِفلِ فارَقَ أُمِّهِ ما حيلَةُ المَحزونِ غَيرُ بُكاءِ
فَأَقامَ جِلسَ الدارِ وَهوَ كَأَنَّهُ لِخُلُوِّ تِلكَ الدارِ في بَيداءِ
حَيرانُ لا يَدري أَيَقتُلُ نَفسَهُ عَمداً فَيَخلُصَ مِن أَذى الدُنياءِ
أَم يَستَمِرَّ عَلى الغَضاضَةِ وَالقَذى وَالعَيشُ لا يَحلو مَعَ الضَرّاءِ

وتسـتمر الصـورة فـي الـنص فـي تصـوير حالـة اليـأس والجـوع، فاليـأس محـاط بـالفقير فصـور اليـأس ككـائن ذو أنيـاب باسـتعمال عنصـر التجسـيم والتجسـيد ليحـول المفهـوم المعنـوي إلـى شـيء يمكـن إدراكـه بـالحواس، أي أنـه شـيء مـادي، وبـذلك يُشـير إلـى أن اليـأس لـيس مجـرد شـعور، بـل هـو تجربـة تُـؤثر علـى الوجـود، ممـا يعكـس مـدى تعـاظم معانـاة الإنسـان الفقيـر وتصـوير حالتـه المزريـة، وهـو يعـاني مـن الجـوع، فيُجسـد الحاجـة الأساسـية التـي تعانيهـا الـنفس البشـرية ممـا يخلـق إحساسـاً عميقـاً بـالعوز والفقـر، ويبكـي كطفـل فقـد أمـه الـذي لا بيـده حيلـة أو وسـيلة سـوى الحـزن والبكـاء، ويُظهـر الشـاعر أن الحـزن ينتهـي إلـى البكـاء كوسـيلة للتعبيـر عـن الألـم، ممـا يعكـس انعـدام الخيـارات أمـام الفقراء، إذ يصبح البكاء هو السبيل الوحيد للتنفيس عن المشاعر،

ثم يتنقل إلى تصـوير حاله وهو مقيم في حلس داره كأنه لم يبرح ويغادر مكانه، مما يجعل الدار تبدو كالصحراء القاحلة بسبب عدم توافر لقمة العيش والجوع الذي يحيط به جعله مقيماً في داره، وهو في كل ذلك الذي يحدث معه يشعر بالحيرة هل يجب أن يقدم على جريمة ليخلص نفسه من هذه الهموم، أم يسـتمر في حياة مليئة بالذل في مجتمع يسـعى لمعالجة القضـايا الاجتماعية؟ فالعيش في ظل هذه الظروف يعد صـعباً ومريراً، فيُجسـد الشـاعر هنا الصـراع الداخلي فكرة الانتحار كفكرة خلاص تدل على اليأس الشديد، ووحدة الفقير تفقده بوصلته مما يؤدي إلى تفكير مقلق، فعمداً يخلص من أذى الدنيا والحياة القاسـية التي يعاني منها، مما يجعل فكرة الموت تبدو كنوع من التحرر من المعاناة، ويُظهر بعد ذلك الحوار الداخلي للرغبة في البقاء رغم الألم، وهذه الصـورة تشير إلى الصـراع بين خيار الاستمرار في المعاناة أو البحث عن مخرج، ويُختتم بتأكيد على أن الحياة لا يمكن أن تكون ممتعة أو مُرضـية في ظل الظروف الصـعبة، وبذلك يعكس اليأس المتأصل في حالة الفقير وتضاعف من تجاربه المؤلمة.

ونجد بأن القصـيدة التي نسـجها الشـاعر مسـتوحاة من الواقع الاجتماعي ، وتُعبر بعمق عن معاناة الفقراء وما يرافقها من مشاعر اليأس والعزلة، ويُظهر الشاعر كيف أن المعاناة ليست فقط مصـدراً للألم الفردي والأمل المفقود ، بل هي أيضـاً تعبير عن واقع اجتماعي يتطلب الوعي والتغيير..

وقد برزت في شـعر المهجر نزعة إنسـانية واضـحة تدعو إلى الإخوة والوحدة والوحدة بين الناس، وترفض الظلم والكراهية والتفرقة، وقد ترسـخت هذه النزعة لدى شـعراء المهجر منذ مغادرتهم أوطانهم واسـتقرارهم في أراضٍ جديدة واجهوا فيها صـعوبات عديدة، ومن هنا نجد أن شعراء الرابطة المهاجرين عانوا من قسوة الفقر والظروف الصعبة خاصة في بداية هجرتهم، مما جعلهم يتعاطفون مع الفقراء ويدعون إلى مساعدتهم في مختلف الأوقات وشتى المناسبات، ومن هذا السياق نجد إيليا أبو ماضـي في العديد من قصـائده ينتقد انقسام المجتمع إلى فقراء وأغنياء، ويدعو إلى التعاطف بين البشر، ونرى ذلك مجسداً في دفقه الشعري لقصـيدة(**الفقير**)، إذ يقول فيها: (إيليا أبو ماضي، 2008م: 303)

وارَحمَتا لِلبائِسينَ فَإِنَّهُم مَوتى وَتَحسَبُهُم مِنَ الأَحياءِ

إِنّي وَجَدتُ حُظوظَهُم مُسوَدَّةٌ فَكَأَنَّما قُدَّت مِنَ الظَلَماءِ

ففي هذين البيتين تُظهر لنا ثنائية الغنى والفقر جوانب متعددة من التاريخ الاجتماعي في كل عصر، فيتناول الشاعر موضوعاً اجتماعياً عميق الجذور، إذ يبدأ في وصف الإنسان المنكود الذي كُتب عليه الفقر، ويعكس من خلال نصه نظرته الاجتماعية متحدثاً عن التقسيم الاجتماعي وتوزيع الطبقات بين الأغنياء والفقراء، فنجد شـــعره يتســـم بالعمق الاجتماعي داعياً إلى الرحمة بالفقير ومساعدته بهدف القضاء على الفقر والفقراء. (ميرزا، 1963م: 63)

فقد حمل النص الشـعري في طياته الكثير من المعاني العميقة حول الفقر وواقع البائسـين، وتُشـير كلمة البائسـين إلى الفئة المهمشـة والمحرومة في المجتمع، ويمثل البائسـون رمزاً للفقراء الذين يعانون من الظروف الصـعبة، مما يخلق إحسـاسـاً بالتعاطف تجاههم، واسـتعمال الشـاعر لصورة الموت يرمز إلى فقدان الأمل والحياة في نفوس هؤلاء البائسين، على الرغم من أنهم أحياء جسـدياً، فإنهم يعيشـون في ظروف تجعل حياتهم أشـبه بالموت، وعبّر الشـاعر ب "حظوظَهُم مُسـوَدَّةٌ" عن ظلم كبير يعاني منه الفقراء، إذ تبدو حظوظهم مظلمة وغير مُشـرقة، وهذه الصـورة تعكس قسوة الواقع الاجتماعي وعدم العدالة، و يصف الحياة التي يعيشها الفقراء كما لو كانت قد نُسـجت من سـواد الظلم، فيوضـح الطبيعة المحزنة التي تُحاط بالفقراء وكيف أن بيئتهم تفتقر إلى الأمل.

فالشـاعر يُصـوّر حـالتي الفقيـر والغنـي وشخصـية كـل منهمـا بنـاءً علـى وضـعهما الاجتمـاعي، ويمثـل الفقيـر والغنـي نسـقين متناقضـين يعكسـان الفـروق والتباعـد بـين طبقـات المجتمـع، ويشـير الشـاعر إلـى معانـاة الفقـراء، مطالبـاً السـلطة المهيمنـة (الأغنيـاء) بالرحمـة بهم.

وفي قصيدة (**السماء**) يقول الشاعر فيها: (إيليا أبو ماضي، 2008م: 566)

وهي عند الفقير أرضٌ وراء — لا يخاف المثري ولا كلبه الضاري
وهي عند المظلوم أرض كهذي — يجمع العدلُ أَهْلَهَا في نظام
لا ضعيف مستعبد لا قوي — الأفق فيها ما يشتهي الفقراء
ولا لامرئ به استهزاء — الأرض لكنْ قَد شَاعَ فيها الإخاءُ
مثلما يجمع الخيوط الرداء — مستبد بل كلهم أكفاء

في هذه القصـيدة يتناول الشـاعر ظاهرة الفقر والغنى وينتقد المجتمع الذي يفرّق ويميز بين الضـعيف والقوي، فقد عبّر عن معاناته وتجربته الشـخصـية التي تركت أثراً نفسـياً عميقاً، يُبرز

فكرة أن العدالة ليســت فقط مقولة نظرية، بل هي ممارســة تحتاج إلى تحقق فعلي؛ حيث يُجمع العدل الناس ضـمن نظام يضـمن حقوقهم. هذه الفكرة تعزز الوعي الاجتماعي وتعطي تصـورات حول كيفية تحقيق العدالة، ويسـتعرض الشـاعر حالته النفسـية من خلال مقارنة بين اسـتبداد الضـعيف، إذ يُعتبر الاسـتبداد "ظاهرة اجتماعية ثقافية ذات جذور تاريخية وليسـت مجرد ظاهرة سياسية رسمية". (فوحات، 2008م: 66)

ويـتم هـذا الاسـتبداد مـن خـلال القـوة وسـلطة الحاكمـة علـى الضـعيف، فنجـد دلالـة القـوة تعكـس السـيطرة المهيمنـة السـائدة علـى الضـعيف، إذ يتفـاخر القـوي بكرمـه وسـلطته الجـائرة، بينمـا يُعـاني الضـعيف مـن الـذل، ممـا يـؤدي بـه إلـى الفنـاء وكـأن وجـوده غيـر ملحـوظ، ويكشـف ذلـك عـن بعـد خفـي يعكـس نبـل الشـاعر وإنسـانيته تجـاه الضـعيف، ممـا يجعلها دلالة اجتماعية عميقة.

وقـد شَـاعَ فيهـا الإخـاء يعكـس الأمـل فـي تحقيـق مجتمـع يسـوده التعـاون والمحبـة بـين جميـع أفـراده، ويُعتبـر الإخـاء قيمـة مركزيـة فـي رؤيـة الشـاعر للمجتمـع المثـالي، ممـا يُبـرز أهميـة الـروابط الاجتماعيـة فـي بنـاء مجتمـع مسـتقر، يُؤكـد الشـاعر علـى فكـرة التحـرر والمسـاواة، حيـث لا يُسـتعبد أحـد سـواء كـان ضـعيفاً أو قويـاً، وهـذه الصـورة تعكـس أمـل الشـاعر فـي مجتمـع خـالٍ مـن الفـوارق الطبقيـة، ممـا يُبـرز أهميـة الإخـاء والتعـاون بـين الأفراد.

فهـذه القصـيدة تتبنـى رؤيـة اجتماعيـة تسـلط الضـوء علـى ضـرورة تحقيـق العدالـة والمسـاواة بـين الأفـراد، إذ تجسـد الرمـوز المسـتخدمة شـعور الشـاعر بالأمـل فـي عـالم يضـم كافـة أفـراده فـي جـو مـن الإخـاء والتضـامن، فمـن خلالهـا يُعبـر الشـاعر عـن موقـف إنسـاني يظهر الحاجة الملحة لتحقيق مجتمع متكامل تقوم فيه قيم العدالة والمساواة.

وإذا كانت الشـجاعة مرتبطة بالشـعر في العصـور القديمة، فهي لا تزال حاضـرة وفعّالة في العصر الحديث، وقد تناولها الشعراء بشكل صريح أو ضمني، واستمدوا من معانيها دلالةً ورمزاً، ويمكن تصـنيف كل الأفعال والأقوال والقيم التي تعبر عن الشـجاعة إلى قسـمين: القسـم الأول الشـــجاعة المعنوية وهي تتعلق بالأفكار والأقوال، وتعتمد على صـــلابة القلب وقوته في تحمل الأهوال، وتتمثل في القدرة على التصـدي للمخاوف برابطة جأش واتزان. أما القسم الثاني فيتمثل بالشـجاعة المادية وتتجسـد من خلال الأفعال مثل الإقدام في مواقف يتجنبها الآخرون، والتعرض

للخطر في مواطن الهلاك (الأصفهاني، 1984: 232)، ويجب أن تكون هذه الشجاعة محكومة بالعقل والحكمة؛ لأن الشجاعة التي تفتقر إليهما لا تعد فضيلة تحمد، وقيمةً تُرتَجَى شره؛ بل تُعد تهوراً بلا فائدة.

فنرى بأن شاعرنا جسد هذه القيمة الاجتماعية في شعره بقصيدته المعنونة ب **(الشجاع)**، يتحدث فيها الشاعر عن الشجاع ويرى بأنّه لا يرضخ لشيء يجبره.. فيقول فيها: (إيليا أبو ماضي، 2008م: 745)

لا أُحِبُّ الإنسانَ يَرضَخُ لِلوَه ... مِ وَيَرضى بِتافِهاتِ الأَماني
إِنَّ حَيّاً يَهابُ أَن يَلمُسَ النورَ ... كَمَيتٍ في ظُلمَةِ الأَكفانِ
وَحَياةً أَمَدَّ فيها التَوقّي ... لا تُوازي في المَجدِ بِضعَ ثَوانِ
الشُجاعُ عِندِيَ مَن أَم ... سى يُغَنّي وَالدَمعُ في الأَجفانِ

يظهر الشاعر في رسمه للنص الشعري قضية إنسانية ترتبط بمصير الإنسان في المجتمع، فعكس العديد من القيم الاجتماعية المرتبطة بالشجاعة والكرامة والضعف الإنساني، بوصف الإنسان كائناً حراً خُلق ليكون شجاعاً في أخلاقه وكرامته.

يستهل الشاعر قصيدته بالتعبير عن عدم حبه للإنسان الذي يرضخ للأوهام والخيبة والضعف في المجتمع، ولا يسعى لتحسين حالته أو لتحقيق أحلامه ويستسلم للواقع والتفاهات، فبدأ بتحديد موقفه من الإنسان الذي يرضخ للأوهام ويعيش في خضوع للأماني التافهة، ويعتبر الشاعر الشجاعة قيمة هامة، إذ يربطها بالقدرة على مواجهة الصعاب والتحديات في الحياة، وإن الشجاعة تتجلى في الإقدام على ما يخشاه الآخرون، بينما يعكس الخوف أو الاستسلام لأوهام الحياة ضعفاً، فتبرز فكرة الخوف من التغيير أو من مواجهة الحقيقة، ويشبه هذا الخوف بحالة الموت والظلام، مما يعبر عن أهمية الجرأة والإرادة لتحدي الظروف الصعبة وفي مواجهة الحياة.

ويشير إلى أن الحياة التي يتمحور حولها التوقي والاحتراس ليست ذات قيمة، إذ يؤكد أن بضع ثوانٍ من الشجاعة والمواجهة يمكن أن تكون أعظم في المجد من سنوات من الخوف أو التردد، وهذا يشدد على أهمية التصرف بشجاعة في اللحظات الحرجة والظروف الصعبة التي تواجه الافراد في المجتمع، وبعد ذلك يوضح بأن الشجاعة ليست فقط في الفعل البسيط أو الانتصار، بل قد تكون في القدرة على التغني وسط الألم والدموع، فالشجاعة تظهر في أن

الشـخص يسـتطيع أن يظهر قوته الداخلية رغم معاناته، وأنه لا يخشـى التعبير عن مشـاعره في وسط المعاناة، والشاعر يعد الشجاعة قيمة اجتماعية نبيلة، ويعتبر أن الإنسان الشجاع هو من يواجه التحديات بعزم، وليس من يركن إلى الأماني والضـعف، فالقصـيدة تدعو الإنسـان إلى أن يتحلى بالشـــجاعة الفردية والجماعية، فالتحدي الاجتماعي يتطلب أن يكون الفرد قوياً بما فيه الكفاية ليواجه الواقع، وهو ما يعكس قيمة اجتماعية عالية في زمن تغييب المواقف النبيلة والإنسانية.

فيتبين لنا انعكاس قناعة أبو ماضي بأن النجاح والشرف يتطلبان شجاعة داخلية، ومن المهم أن يواجه الإنسان مخاوفه ويبتعد عن الخضوع للضغوط الاجتماعية أو المخاوف الشخصية، وتبرز القيم التي يشدد الشاعر عليها أهمية التمسك بطموحات الفرد والقدرة على التغيير، والشجاعة عنده ليست مجرد تصرف خارجي في الفعل، بل هي موقف داخلي نفسي وفكري يتطلب التضحية والمثابرة، وتصبح بذلك أساساً للنهوض الشخصي والاجتماعي، مما يفتح الأبواب أمام قيم إنسانية نبيلة تعزز من الروح الحياتية والتطلعات الإيجابية.

ومن هنا نجد بأن دلالات القيم الاجتماعية ونوازعها متعددة ومتنوعة بتنوع نوازع النفس البشرية ورغباتها، وتظهر هذه القيم في أرض الواقع، إذ أن القيم التي تمسك بها الشاعر نابعة من عوامل اجتماعية ونفسية وثقافية أثرت في تشكيله، مما أوجد لديه قيماً متنوعة في شعره للتعبير عن النفس الانسانية، ويعكس تعدد القيم الاجتماعية في شعر إيليا أبو ماضي الرابط العاطفي والوجداني الذي يجمعه بالمجتمع الذي عاش فيه..

لهذا يتبين لنا بأن الفكر الإنســـاني يُظهر دائما في مختلف عصـــوره تقديراً عالياً لقيمة الشجاعة، وهذا يظهر جلياً في الآداب التي أنتجتها الأمم، فقد احتفى الشعراء والأدباء بالشجاعة وجسدوها في أشعارهم وقصصهم، وأدبنا العربي مليء بصور الشجاعة، إذ لا تخلو قصيدة في المديح أو الرثاء من الإشارة إلى هذه القيمة أو شكل من أشكالها، فليس هنالك شيءٌ " أحب إلى الشعر من الشجاعة لأنها تطلق الإنسان من إسار الهموم الصغيرة والمطالب التافهة الحقيرة، وتسمو به فوق الضرورات والشهوات، وتُثبتُ أنَّ الروح أسمى من الجسد وأجَلُ منه شأناً، وأن الإنسان أفضل من الحيوان، والشجاعة تنتصر على الخوف من الموت، وبخاصة حينما يدافع

الإنسـان عن كيان بلاده وشـرف أمته ومنزلة قومه" (حسـين، 1982م: 12)، وهذا الدفاع يعبر عن تقديره للفضـــل، وتحمله للمســؤولية، ووفاءً بواجبه، حيث يُعد دفاعه عن ذاته وهويته وإثباتاً لوجوده في المجتمع.

وننتقـل إلـى قيمـة اجتماعيـة أخـرى هـي الكـرم تُعـد مـن خصـائص العـرب، فنجـد بـأنّ الشـاعر لا يقصـره علـى المـال وحسـب بـل يوسـع دلالتـه ليشـمل صـفات أخـرى ودلالات أكبـر، فهـو يتنـاول حسـن الخلـق بمـا يتضـمنه مـن حُلـم وسـماحة وميـل فطـري إلـى العمـل الصـالح، والقـول الكـريم، والنصـيحة، والصـدق، والوفـاء، والأمانـة، والإخـلاص، والعزيمـة فـي الحـق.. فكـلّ تلـك السـجايا تجسـد مضـمون الكـرم إلـى جانـب الجـود وحـبّ العطـاء بمختلـف أشـكاله وتجلياتـه، فنجـد كـل ذلـك مجسـداً فـي قصـيدته المعنونـة بــ(**الكــريم**)، إذ يقول فيها : (إيليا أبو ماضي، 2008م: 769)

قالوا أَلا تَصِفُ الكَريمَ لَنا فَقُلتُ عَلى البَديه
إِنَّ الكَريمَ كَالرَبيعِ تُحِبُّهُ لِلحُسنِ فيه
وَتَهَشُّ عِندَ لِقائِهِ وَيَغيبُ عَنكَ فَتَشتَهيه
لا يَرتَضي أَبَداً لِصاحِبِهِ الَّذي لا يَرتَضيه
وَإِذا اللَيالي ساعَفَتهُ لا يُدِلُّ وَلا يَتيه
وَتَراهُ يَبسُمُ هازِئً في غَمرَةِ الخَطبِ الكَريه
وَإِذا تَحَرَّقَ حاسِدوهُ بَكى وَرَقَّ لِحاسِديه
كَالوَردِ يَنفَحُ بِالشَذى حَتّى أُنوفَ السارِقيه

تتمحـور القصـيدة حـول قـيم الكـرم والمـروءة فـي المجتمـع، إذ يقـدم الشـاعر صـورة مثاليـة للشـخص الكـريم ويصـف خصائصـه، فيسـتهل الشـاعر قصـيدته بالإشـارة إلـى سـؤال وُجِّـه إليـه حـول وصـف الكـريم، فيجيـب بأبيـات تصـوّر الكـرم علـى أنـه صـفة تميـز الشـخص وتجعلـه محـط اهتمـام، يبـدأ الشـاعر بتوضـيح معنـى الكـرم مـن خـلال التشـبيه بـ "الربيـع"، الـذي يرمـز إلـى التجـدد والخيـر والنمـاء، وهنـا يعبـر عـن الكـرم علـى أنـه مصـدر للمتعـة والعطـاء المسـتمر، والمقارنـة بـالربيع توضـح كيـف أن الكـريم يثيـر الإعجـاب والـود فـي الآخـرين، كمـا أن الربيـع يمـلأ الحيـاة بالجمـال والحيويـة، وتوظيـف الشـاعر للربيـع كمثـال يُظهـر أن الكـرم لـيس فقـط صـفة فرديـة، بـل هـو سـمة اجتماعيـة تجـذب الانتبـاه وتجعـل

الشـخص محـط إعجـاب الآخـرين، إذ يشـير إلـى تفاعـل الكـرم مـع الآخـرين فـي المجتمـع، ويعبـر عـن حـب النـاس وتقـديرهم للكـرم "وتَهَـشُّ عِنـدَ لِقائِـهِ" فهـذه التفـاعلات تؤكـد علـى أهميـة الكـرم كعامـل يسـاهم فـي العلاقـات الاجتماعيـة ويسـهم فـي تعزيـز الـروابط الإنسـانية، وبعـد ذلـك يظهـر أن الكـريم لا يسـاوم علـى مبادئـه ولا يقبـل المصـاحبة إلا لأولئـك الـذين يتحلـون بـنفس القـيم والفضـائل، مـا يعكـس العـدل والتمسـك بـالأخلاق فـي اختياراتـه الاجتماعيـة، وإنـه لا ينسـاق وراء ذاتـه فـي الأوقـات التـي يواجـه فيهـا التحـديات والخصـومات ، بـل يظـل ثابتـاً وهادئـاً فـي مواقفـه، فـالكرم لـيس فقـط فـي العطـاء المـادي، بـل يتجلـى أيضـاً فـي التصـرفات الطيبـة والمواقـف الإنسـانية، فهـو لا يتـأثر بالصـعوبات بـل يظـل متفـائلاً مبتسـماً عنـدما يواجـه التحـديات والمواقـف .. ويصـوره بكونـه شخصـاً يتعامـل مـع الحسـد برقـي بـدلاً مـن أن يـرد بمثـل سـلوك الحاسـدين، يشـعر بالشـفقة علـيهم ويبكـي مـن أجلهم، ما يعكس رحمة ورفعة النفس.

يسلط الشـاعر في هذه القصـيدة الضـوء على أنّ مفهوم الكرم يتجاوز حدود الجود بالماديات ليمتد ويشـمل القيم المعنوية العليا أيضـاً، إنّ هذا التأويل والتفسـير العميق لدلالة الكرم في ثقافة الشاعر يؤكد ويُبرز أهمية الفعل الإنساني وثباته، إذ يُعد سلوكاً إيجابياً تفرضه تحديات الزمكانية، ولا يمكن للشـاعر أن يسـتعمل الكرم كأداة جمالية لتجميل القبح واضـماره، فالدلالة الواضـحة المرتبطة بالكرم تؤكد دائماً إنسـانية البشـر، وعندما يفخر الشـاعر/الإنسـان بفعل الكرم، فإنه لا يهدف إلى إضـفاء طابع شـخصـي على ذاته، بل يحتفي بمكانة الكريم في المجتمع، مما يجعله محبوباً من الجميع وسـبباً للفرح بلقائه، كما يُشـبهه بالشـمس التي تُشـرق في ظلماء المجتمع وحاجاته الملمة .. ويوحي على ذلك البيت الأخير الذي يختتم به إيليا أبو ماضـي رسـالته يُظهر فيه تشـبيه الكريم كالورد ينشـر شـذاه حتى أنوف السـارقين، مؤكداً أنه لا يتوقف عن العطاء الإيجابي ولا يستثني أحداً، حتى الذين يعتدون عليه ويجتثون شأفته ظلماً وطمعاً.. فهو يفوح لهم بأريج ذاته العطرة؛ لأن تلك هي طبيعته وأصله، وبالتالي فأن قيمة الكرم تكمن في جوهره، فهي " قيمة مركزية في الثقافة العربية ، تتمحور حولها كل القيم الإنسـانية الأخرى من حيث علاقة الذات بـالآخر والقوي بـالضـعيف والغني بـالفقير، وهي تحكم العلاقات الاجتماعية والتبادل الإنسـاني بين كافة الأطراف" (الغذامي، 2005م: 190)، ولا تتحكم فيها الشـروط المادية والمصلحة الفردية ولذا فإنّها قيمة في الإيثار.

يتضح من خلال هذا المبحث أن القيم الاجتماعية في شعر إيليا أبو ماضي تشكّل نسقًا دلاليًا يعكس وعيًا إنسانيًا واجتماعيًا، حيث لم تكن القيم مجرد موضوعات وصفية معزولة، بل بنيات رمزية فاعلة أسهمت في تشكيل الخطاب الشعري وتوجيه دلالاته، فقد تجلت قيم الحرية، والانتماء، والعدالة، والتعاطف الإنساني، والشجاعة، والكرم بوصفها استجابات شعرية واعية لواقع اجتماعي مأزوم، عانى فيه الفرد من الفقر والظلم والاغتراب والانتماء والحرية. وإن الخطاب الشعري لا يكتفي بعكس الواقع الاجتماعي، بل يعيد إنتاجه رمزيًا عبر شبكة من العلامات والصور التي تتجاوز الدلالة المباشرة إلى أفق إنساني نقدي.

الخاتمة:

- ❖ الخطـاب الشـعوي عنـد أبـي ماضـي يعمـل بوصـفه نسـقًا تأويليـاً منتجـاً للمعنـى، يعيـد صـياغة الواقـع الاجتمـاعي رمزيـاً، حيـث تتحـول القـيم الاجتماعيـة مـن مضـامين توصيفية إلى بنيات دلالية فاعلة تؤدي وظائف نقدية ومعرفية.
- ❖ إن القـيم الاجتماعيـة فـي شـعر أبـي ماضـي تقـوم علـى تفكيـك الأنسـاق الاجتماعيـة المهيمنـة، مـن خـلال آليـات دقيقـة، أبرزهـا الرمـز، والاتزيـاح، والتقابـل الـدلالي، ولا سيما في الثنائيات: الفقر/الغنى، القهر/الحرية، الانتماء/الاغتراب.
- ❖ وإن تجربتـه الشـعرية تنبنـي علـى تفاعـل جـدلي بـين الـذات والواقـع، حيـث تتحـول المعانـاة الفرديـة إلـى خطـاب اجتمـاعي عـام، وتغـدو القـيم المطروحـة آلياتٍ لمسـاءلة البنـى المهيمنـة وكشـف اختلالاتهـا. وتبـرز فـي هـذا السـياق فاعليـة الرمـز والاتزيـاح والتقابـل الـدلالي فـي تفكيـك ثنائيـات الفقر/الغنـى، القهر/الحريـة، الانتمـاء/الاغتراب، بما يمنح النص الشعري طاقة تأويلية مفتوحة.

المصادر:

أولاً: الكتب:

1. الأصفهاني، الراغب، 1984م، الذريعة الى مكارم الشريعة، تح: أبو اليزيد أبوزيد العجمي، دار السلام، القاهرة، (د–ط).
2. أبو ماضي، إيليا، ٢٠٠٨م، الأعمال الشعرية الكاملة، جمعه وعلق عليه: د.عبد الكريم الاشتر، الكويت، ط١.
3. دياب، فوزية، د–ت، القيم والعادات الاجتماعية، دار الكاتب، القاهرة، د–ط.
4. عبود، حنا، 1999م، النظرية الأدبية الحديثة والنقد الأسطوري، اتحاد الكتاب العرب، ط1.
5. عيوسي، عبد الرحمن محمد، 1982م، اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط1.
6. الغذامي، عبدالله، 2005م، النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية –، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط٣.
7. فرحات، نور محمد، 2008م، البحث عن العدل (السلطة والقانون والحرية)، سطور للنشر والتوزيع، ط١.
8. فضل، صلاح، 1980م، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط2.
9. الكبيسي، عناد إسماعيل، 1981م، ثورة الادب المهجري على التعصب، شركة المكتبات الكويتية، الكويت ، ط١.
10. المعوش، **سالم، 1997م** إيليا أبو ماضي بين الشرق والغرب : في رحلة التشرد والفلسفة الشاعرية، مؤسسة بحسون ، بيروت – لبنان ، ط ١.
11. ميرزا،زهير، 1963م، إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، دار اليقضة العربية، سوريا، ط٢.
12. وليك. وارن،رنيه. وآوستن، 1992م، نظرية الادب، تر: عادل سلامة، دار المريخ، السعودية، ط1.
13. حسين، عبدالله أحمد، 1982م، الشجاعة والجبن، مجلة البيان الكويتية، عدد١٩٠.

14. هكودي و حسيني، صادق فتحي وسكينة، 2015م، ملامح من الواقعية الاجتماعية في شعر إيليا أبو ماضي، مجلة اللغة العربية وآدابها، عدد2، 2015م.
15. أروينة، عبد الكريم، 2008م، الوطن في شعر إيليا أبو ماضي – دراسة تحليلية سيميائية، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم الأدب العربي ، جامعة محمد خيضر – بسكرة.
16. شريف، فاضل عبد الأمير، 1997م، البحر في الشعر المهجري – دراسة موضوعية وفنية – (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، كلية الآداب.

References

First: Books:

1. Al-Isfahani, Al-Raghib, 1984, Al-Dhari'ah ila Makarim al-Shari'ah, ed. Abu al-Yazid Abu Zayd al-Ajami, Dar al-Salam, Cairo, (n.d.).
2. Abu Madi, Ilya, 2008 AD, The Complete Poetic Works, compiled and annotated by: Dr. Abdul Karim Al-Ashtar, Kuwait, 1st edition.
3. Diab, Fawzia, n.d., Al-Qiyam wa al-'Adat al-Ijtima'iyyah (Social Values and Customs), Dar al-Katib, Cairo, n.d.
4. Abboud, Hanna, 1999, Al-Nazariyah al-Adabiyyah al-Hadithah wa al-Naqd al-Athuriyyah (Modern Literary Theory and Mythical Criticism), Arab Writers Union, 1st ed.
5. Ayyousi, Abd al-Rahman Muhammad, 1982, Ittijahat Jadidah fi 'Ilm al-Nafs al-Hadith (New Trends in Modern Psychology), Dar al-Nahdah al-'Arabiyyah for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 1st ed.
6. Al-Ghadhami, Abdullah, 2005, Al-Naqd al-Thaqafi - Qira'ah fi al-Ansaq al-Thaqafiyah al-'Arabiyyah (Cultural Criticism - A Reading in Arab Cultural Patterns), Arab Cultural Center, Beirut, Lebanon, 3rd ed. Farhat, Nour Muhammad, 2008, The Search for Justice (Power, Law, and Freedom), Sotor Publishing and Distribution, 1st ed.
7. Fadl, Salah, 1980, The Realist Approach in Literary Creativity, Dar Al-Maaref, Cairo, 2nd ed.
8. Al-Kubaisi, Anad Ismail, 1981, The Revolution of Emigrant Literature Against Fanaticism, Kuwaiti Libraries Charter, Kuwait, 1st ed.
9. Al-Maoush, Salem, 1997, Ilya Abu Madi Between East and West: On the Journey of Displacement and Poetic Philosophy, Bahsoun Foundation, Beirut, Lebanon, 1st ed.
10. Mirza, Zuhair, 1963, Ilya Abu Madi: The Greatest Poet of the Emigrant, Dar Al-Yaqza Al-Arabiya, Syria, 2nd ed.
11. Wellick, Warren, René. Austin, 1992, Literary Theory, trans. Adel Salama, Dar Al-Marikh, Saudi Arabia, 1st ed.
12. Hussein, Abdullah Ahmed, 1982, Courage and Cowardice, Al-Bayan Journal, Kuwait, no. 190.

13. Hakardi and Husseini, Sadiq Fathi and Sakina, 2015, Features of Social Realism in the Poetry of Ilya Abu Madi, Journal of Arabic Language and Literature, no. 2, 2015.
14. Arwina, Abdul Karim, 2008, The Homeland in the Poetry of Ilya Abu Madi - An Analytical Semiotic Study, (Master's Thesis), Faculty of Arts, Humanities and Social Sciences, Department of Arabic Literature, Mohamed Khider University - Biskra.
15. Sharif, Fadel Abdul Amir, 1997, The Sea in Emigrant Poetry - A Thematic and Artistic Study, (Master's Thesis), University of Baghdad, College of Arts.